



رسائل الثورة السورية المباركة (93)

اقتلاوا 3000

لا يكاد يمر يوم إلا ونسمع فيه عن مقتل عقيد أو عميد من كبار ضباط جيش الاحتلال، وهؤلاء هم الحلة الأقوى في بنية النظام، أو ثانٍ أقوى للحلقات بعد قادة أجهزة الأمن، فمن كان قادرًا على الوصول إليهم فإنه على الوصول إلى الحلقات الأضعف أقدر.

تذكرت وأنا أتابع تلك الأخبار مقالةً كنت قد قرأتها قبل عدة شهور، وأردت أن أستشهد بما جاء فيها لأبني عليه وعلى الأخبار السابقة فكرة هذه المقالة، لكنني فشلت في العثور عليها - على طول بحثي عنها - ولذلك سأعتمد على ما بقي منها في ذهني. الذي أذكره أن كاتب المقالة كان واحداً من الكتاب الغربيين المختصين بمتابعة الشأن السوري، والفكرة المهمة هي قوله إنه درس النظام السوري دراسة متأنية فاستنتج أنه يستمد قوته وقدرته على البقاء من عدد محدود من الأشخاص، استطاع إحصاءهم فبلغوا ثلاثة آلاف وبضع مئات.

هل تبدو هذه الفكرة غريبة؟ أبداً، فكرروا فيها تفكيراً منطقياً. ذات يوم شبّهتُ الدول -في بعض مقالاتي القديمة- بالمؤسسات والشركات. تخيلوا واحدة من أعظم الشركات وأكبرها، شركة تويوتا اليابانية على سبيل المثال، وهي كبرى شركات صناعة السيارات في العالم. تملك الشركة 522 فرعاً حول العالم ولها مصانع في بضعة وعشرين بلداً، وقد بلغت عائداتها في السنة الأخيرة نحو 240 مليار دولار، وهو مبلغ يساوي أربعة أضعاف الناتج القومي الإجمالي لسوريا، وتقدر قيمة أصولها بنحو 370 مليار دولار، ويعمل فيها نحو ثلث مليون موظف.

لو أردنا أن نُسقط الشركة فلا بدّ من وقف الإنتاج في مصانعها عن طريق فرض إضراب عام لفترة طويلة، ربما لمدة سنة أو سنتين، لأن احتياطيات الشركة وأصولها تستطيع امتصاص الصدمة لبعض الوقت، ثم سيبدأ الانهيار التدريجي بعد ذلك فيُلْجئ الشركة إلى البدء ببيع بعض الأصول للوفاء بالتزامات السوق، وربما اضطررت إلى بيعها بأسعار أقل من قيمتها السوقية بسبب ضغط الحاجة. وإذا استمر الإضراب العام لمدة طويلة جداً ولم تستطع الشركة تعويض نقص العمال

بتوظيف عمال مهراً غيرهم فقد تنهار انهياراً كاملاً ونهائياً، أما إذا كان الإضراب جزئياً (عشرات الآلاف من العمال فقط) فسوف تتراجع واردات الشركة وتتعرض إلى خسائر واسعة، مما يؤثر على قيمة أسهمها ويهز موقفها المالي في المصارف الدولية، وسوف تصبح أقل قدرة على المنافسة في الأسواق العالمية، ولهذا السبب فإنها سوف تضطر إلى مقاومة الإضراب الجزئي بكل الوسائل، بما فيها الاستجابة (الجزئية أو الكاملة) لمطالب العمال المضربين.

هذا الطريق يمكنه أن يضعف الشركة أو يدفعها باتجاه الإفلاس، ولكنه صعب وطويل، فأما صعوبته فلأن إقناع ثلث مليون عامل بالإضراب، بل ربما إقناع نصفهم على الأقل، ليس بالأمر الهين. وأما الطول فسببه قدرة الشركة على امتصاص الضغط – لوقت يطول أو يقصر – اعتماداً على المخزون الاحتياطي أو على الأصول القابلة للتسبييل، وقد تستثمر الشركة علاقاتها القديمة وتلوّح باتفاقيات وصفقات مستقبلية في سبيل الحصول على أموال إضافية من بعض المصارف الكبيرة أو من ممولين مستقلين.

في ثورتنا السورية تشبه الخطة السابقة – من حيث الشكل والتأثير – مشروع العصيان المدني الذي لم يهتم به الثوار كثيراً ولم تنجح محاولاته المتكررة لسبب لا أعرفه، مع أنه من أفضل الأسلحة الثورية وأكثرها أماناً وضماناً. لا أعلم لماذا لم يحتفل به الثوار احتفالهم بعمليات الجيش الحر والدفاع المسلح عن الأحياء والمدن. صحيح أن العصيان المدني سلاح ذو حدين وأنه يؤذى الطرفين (وقد أفضت في بيان هذه الحقائق ولم أحار إخفاءها حينما دعوت إليه وشجعت عليه في مقالة "الثورة تستعمل أفتوك أسلحتها")، ولكن أليس العمل العسكري مكلفاً أيضاً؟ على الأقل كان ينبغي على الثورة أن تكمل الطريق وأن تمضي في تنفيذ العصيان المدني، مع استمرار الجيش الحر وكتائبه المسلحة في توفير الحماية والدعم النفسي للثورة والثوار كلما كان ذلك ممكناً.

ليس هذا هو موضوعي اليوم على أية حال، ومن كان مهتماً به فليرجع إلى مقالة العصيان المدني ومقالات المقاومة المدنية، وهي كثيرة، وقد مضى على نشرها زمن طويل. موضوع اليوم هو الطريق الآخر. لنعد إلى شركة تويوتا.

صحيح أن القوة العاملة في مصانع الشركة وفروعها المنتشرة في أنحاء الدنيا تبلغ ثلث مليون، ولكن لو بحثنا فسوف نجد أن مفاتيح البحث والتصميم والإنتاج والتسويق والإدارة المالية والتنفيذية تتركز كلها في أيدي بضع مئات من كبار المديرين والمسؤولين الكبار. ماذا لو خرج هؤلاء من المعادلة؟ ماذا لو استقال (أو أقيل) أولئك المئات من المديرين والمهندسين والقادة الكبار في الشركة؟ ببساطة: سيتوقف الإنتاج أو يتعرّض، وسيتوقف البيع أو يتأخر، وسيتضطرب الموازنات وتفشل الشركة في حفظ مركزها المالي أمام الموردين والممولين، وسوف تختل العلاقات مع المستوردين وال وكلاء في البلدان المختلفة وتفقد الشركة ثقة عملائها وينفذ مخزونها وتهبط مبيعاتها إلى الحضيض، وسوف يصبح ثلث مليون عامل مجّدين في مصانعهم بلا عمل وستتحول المصانع إلى بيوت أشباح.

الفرق بين الخطتين السابقتين (إضراب العمال وإقالة المسؤولين) هو كالفرق بين ربع المبارزة بالنقاط وربحها بالضربة القاضية.

لنعد إلى سوريا وثورة سوريا. زعم ذلك الكاتب (الذي ضاع مني اسمه وضاعت مقالته) أن قوة النظام السوري تجتمع في عدد محدود من الأشخاص لا يزيدون على ثلاثة الآلاف إلا قليلاً. سنستعين بأخيالنا لفهم الأمر بصورة أفضل. أنا شخصياً أستطيع التفكير في أولئك الأشخاص في صورة هرم من عدة طبقات، يبدأ عند الرأس بعدد محدود جداً من كبار الرؤساء والمسؤولين، قد يبلغون ثلاثة، هم الرئيس ومستشاروه وقادة الأجهزة الأمنية والجيش وكبار المسؤولين السياسيين والماليين والإعلاميين والحزبيين. ثم نبدأ بالنزول إلى الطبقة التالية فنجد أن كل واحد من أولئك الثلاثة يؤدي وظيفته من

خلال مجموعة مركزية قد يبلغ عدد أفرادها نحو عشرة أشخاص، وهكذا يصبح الثلاثون ثلاثة، وعندما نحصي معهم الطبقة الثالثة يصبح العدد ثلاثة آلاف.

لتأخذ إدارة المخابرات الجوية مثلاً. ذلك الجهاز الخبيث يوجد فيه نحو ثلاثين ألف شخص ويقوده اللواء جميل حسن، فهل تخيلون أن يصفر في صفارة فيركض إليه الآلاف الثلاثون لتنفيذ أوامر؟ مستحيل، إنما يتم الأمر من خلال معاونيه ومسؤولي الفروع والأقسام ومساعديهم، إلى آخر التشكيلات التنظيمية المعروفة. نجد مثلاً أن الطبقة الأولى في الجهاز تضم رئيس فرع مطار المزة ورئيس فرع التحقيق في القصاع ورئيس قسم العمليات الخاصة في المخابرات الجوية ورئيس فرع المخابرات الجوية في حرستا ورؤساء الفروع في المناطق (كفرنبوبي الذي يسيطر على حمص وحماء) ... وتحت كل واحد من أولئك القادة الرئيسيين مجموعة صغيرة من ضباط المخابرات الجوية الكبار الذين يعملون معه في إدارته الفرعية... وهكذا في تسلسل هرمي متكامل.

هل يتوجب القضاء على ثلاثين ألف عنصر وضباط في المخابرات الجوية للتخلص من شر ذلك الجهاز المجرم؟ لا يقول أحد بذلك، ولن يرى عاقل أيضاً أن التخلص من أفراد صغار من الجهاز يمكن أن يشله ويعطله عن العمل، فالجسم يعيش ولو فقد إصبعاً أو عقلة في إصبع. لتعطيل الجهاز اقطعوا الرأس. إذا ذهب كبار الضباط ومعاونوهم الأقربون ومن يلوذ بهم ويعمل في دوائرهم سيتعطل الجهاز عن العمل.

ولكن ليس القادة الأمنيون والعسكريون هم مصدر الشر الوحيد. إن الأذى المنظور يأتيانا منهم لأن الجيش وأجهزة الأمن هي الظاهرة في العمليات الأمنية القمعية، لكن النظام ما كان له أن يعيش ولا قدرة له على البقاء لو لا تكامل أجهزته المتنوعة، فليس المسؤولون الكبار في المصرف المركزي وسوق الأوراق المالية والغرف الصناعية والتجارية أقل خطراً وأهمية من المسؤولين العسكريين، وإن يكونوا أهدافاً أسهل على التصفيه. بل لو تأملنا فسوف نجد أن تعويض عقيد أو عميد يغتاله جيșنا الحر أسهل على النظام من تعويض مسؤول إعلامي كبير بحجم مدير محطة فضائية أو مسؤول اقتصادي كبير بحجم مدير المصرف المركزي أو السوق المالي.

لقد وضحت الخطة الآن وظهر الهدف من المقالة. لو كان المطلوب هدم شركة من الشركات فسوف نسعى إلى حمل المتنفذين الكبار على الاستقالة فتصاب الشركة بالشلل، أما كبار مجرمي نظام الاحتلال الأسدية فلن يستقيلوا من تلقاء أنفسهم، ولستم أنتم من وضعهم في أماكنهم لتقilioهم، فماذا تصنعون؟ اقتلواهم.

الحروب تبدأ على الورق لا تبدأ على الأرض، حيث توضع الخطط وتحسب الحسابات ثم يبدأ العمل في دنيا الواقع تبعاً لما حسب وخطط. فتعالوا نبدأ على الورق؛ لنرسم خريطة كاملة لنظام الاحتلال الأسدية، تظهر فيها موقع وأسماء المتنفذين الكبار في مفاصل النظام جميعها، في طبقاتها الثلاث العليا. هؤلاء هم كل شيء، هم الدماغ والجبل الشوكي اللذان إن تلفاً تلفَ الجسم كله وتعطل عن الحركة. هؤلاء هم الهدف.

"قائمة الموت" يجب يتعاون على كتابتها عدد من كبار أهل الرأي والمعرفة وقادرة الثورة الميدانيين والسياسيين، ويجب أن تشمل بالتأكيد المسؤولين المباشرين عن القمع والقتل، وهو قادة الأجهزة والفروع الأمنية ومعاونوهم وقادرة الفرق والألوية وضباط هيئة أركان الجيش، ولا بد أن يكون فيها أيضاً محافظو المحافظات ومساعدوهم، وقادرة الحزب وكبار أعضائه، وكبار المسؤولين الإعلاميين في الإعلام المرئي والمكتوب والإعلام الإلكتروني، وكبار الفنيين والخبراء التقنيين في الاتصالات، ومحافظ المصرف المركزي وكبار مساعديه، ورؤساء الغرف الصناعية والتجارية، والممولون الكبار وأصحاب الشركات التي يملكونها النظام أو التي تدعمه وتمويل أنشطته العدوانية، وغيرهم من يعرفه قادة الثورة ومفكروها ومستشاروها المطلعون على الخفايا والأسرار.

هؤلاء جميعاً سيبلغون بضعة آلاف، ربما ثلاثة آلاف لو صدق صاحب الدراسة التي تحدثت عنها في مطلع المقالة. ولا تظنوا أن المسؤول العسكري أشد ضرراً على الثورة من المدني فيشغلكم الأول عن الثاني، بل اهتموا بالنوعين معاً، اقتلوا الاثنين. ولكنهم ليسوا سواء في المنعة والقوة، فإن اغتيال رؤوس النظام الكبرى أمر عسير والوصول إلى الطبقات الأدنى أيسر من الوصول إلى العليا، فلا تبدؤوا من الأعلى ولكن ابدؤوا من الأسفل؛ اضربوا الطبقة الثالثة أولًا، ثم ارتفعوا من الأدنى إلى الأعلى بعزم وثبات واطراد، فلن يلبث أن يأتي يوم تبقى فيه الطبقة العليا بلا ظهر ولا دعائم، طائفة من الفئران المذعورة. نعم، اقتلوا الآلاف منهم؛ إن العمارة كلما فقدت المزيد من دعائمه صارت أقرب إلى الانهيار.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: